

نماذج من اختلاف التنويع حول بعض الآيات

قد تقدم أن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر أن تلك الاختلافات فيما بينهم إنما هو ليس اختلاف تضاد، اختلاف يسمى تنوعا، أي: أنواعا من الكلام داخلة تحت معنى واحد، والدليل عليه أن ابن جرير عندما يحكي تلك الأقوال يجمع بينها؛ فيقول إن هذه جائزه، جائز أن يكون كذا، وجائز أن يكون كذا، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، وقد تقدم أمثلة لذلك، قد يعبر عنه بلازمه أو بنظيره؛ يعني: بما هو مشبه أو متشابه له أو بما هو نوع منه أو نحو ذلك. قد ذكرنا أن ابن جرير عند قوله تعالى: {وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةَ} ذكر اختلافهم في القنطر المذكور في قوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِقِنْطَارٍ} وفي قوله تعالى: {وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا} فعباراتهم تدل على أن القنطر هو المال الكبير ولا حاجة إلى تقديره بعده مُبَيِّن مما يدل على أن هذا جائز، أن يعبر عنه بلازمه أو بنظيره أو بلازمه أو بجزء منه. ومنهم من ينص على الشيء بعينه؛ يعني منهم من يعبر بلازمه، ومنهم من يعبر بنظيره، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن الليب لذلك والله الهادي. واختلافهم يكون اختلاف تنوع - كما قلنا - وهو أيضا دليل على عنايتهم بالقرآن وكثرة اجتهادهم في معرفة معانيه، وتفسيرهم له حتى يكون ظاهرا، إذا قرأه القارئ عرف ما قرأ وعرف المدلول الذي تدل عليه تلك القراءة وما أشبهها. والذين يذكرونها أقوالا يريدون بذلك أنها أقوال في الظاهر؛ يعني: قول كذا وقول كذا من غير أن تكون متباعدة في الأصل. يرجع في ذلك إلى التفاسير التي تحكي الكثير من الأقوال مع كونها متقابلة، ولا شك أنه قد يحصل أيضا بينهم شيء من الاختلاف. فمثلا فسروا النسك في قوله تعالى: {فَيَدْرِي مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ نُسُكٍ} وأكثرهم على أنه يكفي في النسك شاة، وبعضهم من قال: لا. بل لا بد من بدنة، وبعضهم فسر النسك بأنه العمرة أو العبادة في قوله: {إِذَا قَصَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ} والذين فسروه بالدم استدلوا بقوله تعالى: {فُلْ إِنِّي صَلَّيْتُ وَنُسُكِي} أي أن النسك هو العبادة، وقيل هو الذبح، هذا مثال. وكذلك الدم في قوله تعالى: {فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} ما استيسر من الهدى قال بعضهم: شاة، وقال: بعضهم بدنة، ولكن كان هذا أيضا تمثيل، أي: مثلا لما استيسر من الهدى.